ريهام أحمد

مَلَك الموت + برومثيوس

برومثيوس

جلست أمام المشعل أرتجف من شدة البرودة التي صاحبتها أمطار عصفت بكل شيء. ورغم نار المشعل إلا أنني مازالت أستشعر البرد. بعد أن ذهب الجميع للنوم إلا أنا اعتدت السهر. نهضت أقرأ في إحدى رسائل الماجستير لعلي أجد عنوانا مناسبا لرسالتي.

نهضت بخفة لخفة وزني وما أن مررت حتى رأيت نيرانا عدت مسرعا فلم أجد شيئا، ما أن تحركت بعيدًا حتى وجدت النيران مشتعلة من جديد فهرولت إليها لم أجد شيئا. هكذا عشر مرات حتى رمقت الحجر الذي نضعه نزين به هذه الحجرة.

أحب الأشياء الطبيعية لحد لا يصدق فأجمع التماثيل وأضعها بحجرتي، ألصق أوراق الأزهار على الجدران، فحجرتي بها الكثير إلا هذا الحجر الذي جلبه والدي في إحدى أسفاره كنت أريد أن أضعه في حجرتي لكنه رفض بناء على رغبة أمي أن تضعه لتزين به هذا المكان.

حقًا كان حجرًا مميز تنظر له تشعر أنه يشع ضوءا ولهبا ساخنا لا لا ليس ضوءا لا أعرف. بعد أن ينام الجميع أجلبه أتأمل هيئته الساحرة وفي كل مرة تكتشف أمي ذلك تعنفني بشدة لكني لا أهتم الأهم أنني فعلت ما أريده. أحضرت الحجر أتأمله بجوار المشعل لامعا براقا، حين تتأمله من بعيد تشعر بأن به نيران مشتعلة أحد يتحرك فإنه حجر ساحر ساخن لا أعلم ربما مجرد ظنوني أنا فقط. أخذت أقلب فيه أتأمله بشدة فرفعته في إضاءة المصباح وكنت أجلس قريبا من المشعل وهو بمحاذاته فلاحظت

انجذاب الحجر من يدي للنيران.
حركة لم أفعلها بيدي شعرت أن أحدا يحرك يدي يقترب من النيران حينها ازداد وهج الحجر لذلك لم أحتمل درجة حرارته المرتفعة فسقط أرضًا لكنه كان متماسك لم يتحطم وإلا وكانت حطمت أمي رأسي مثلما تحطم.
نهضت أستعيد الحجر من موضع سقوطها لكني وجدته متوهج أكثر لتعرضه للنيران كنت أظن أن بداخله نارا أو أحدا مسجونا بقيود فحين سقط برقت عليه أحرف غريبة لا أعرفها وهي(Ἡρακλῆς) ما معناها لا أعرف؟ بل السؤال السليم ما لغتها؟
أظنها هيروغليفية لا لا أنا درست تلك اللغات بالجامعة يمكنني معرفتها، ليست لغة مصرية أو بالأحرى عربية ولا أيضًا لغة عالمية مستخدمة الآن.
أظنها لغة قديمة لاتينية ربما، رومانية أو يونانية شيء من هذا القبيل.
إن هذا الحجر زاد اشتعال النيران في المشعل بشكل غريب جعلني أرتجف فنهضت صارخة خوفًا أن أحترق. هكذا أنا أنقب عن المشكلات تنقيباً هكذا كانت تقول لي أمي دائمًا لكني اليوم أصدق على حديثها. في كل مرة أتعرض لمشكة أكبر من سابقتها ومع ذلك لا أتراجع عن سلوكياتي العجيبة.
وقفت أتأمل كل شيء أدعو الله إلا تستيقظ أمي الآن إلا ووضعتني في النيران وجدت أن النيران تزداد والحجر يتوهج أكثر فأكثر. أحضرت ماء وسكبت في المشعل وكعادتي لا أفعل شيئا إلا وأصحبه بكم هائل من المشكلات أتلفت كافة الأغطية الأرضية. نظفت ما استطعت منها لكن الحجر الذي انطفأ مع انطفاء النيران أخذ لبي. نهضت أبحث عن معنى الأحرف التي نقشت غائرة على الحجر (Ἡρακλῆς) أن يظهر معنى لا لم يظهر شيء.
لكن الخطأ ليس في مؤشر البحث إنه في عقل من تكتب على مؤشر البحث.

أخذت أسرد اللغات القديمة كلها ما أعرفه وما لا أعرفه لم أنم قبل أن أعرف معنى هذه الكلمة أظنها تصل بي إلي حقيقة هذا الحجر. بعدما أرهقت ولم أصل لشيء أخذت أتأمل الحجر الذي تبرز هذه الأحرف فيه في النيران لكن المنزل بأسره نائم أشعر أنني سأجعلهم لحمًا مشويا.

بالفعل هذه المرة أشعلت المشعل ووضعت الحجر بداخله وما أن وضعته حتى انفجر المشعل والتفت النيران حولي تحطم الحجر خرج منه مارد أضرم النيران في كل شيء لشدة النيران وارتفاعها لم أكن أرمق أمامي وجوم تام اعتراني حينها. أنا وسط حلقة من النيران المشتعلة التي تعلو قصري بكثير وتفوقه.

أقسم إن مت ودلفت للنار لن تكون بحجم هذه النيران والغريب ورغم شدة اقترابها مني إلى حد أنها كانت تلامسني إلا أنها لم تحرقني كنيران سيدنا إبراهيم (عليه السلام) هل أنا مبروك إلي هذا الحد؟ بديهي لا أنا أفعل مشكلات بعدد شعر رأسي إذن هناك لعنة علقت بي أم السر في هذا الحجر وأنا بجهلي أتلفت كل شيء. سمعت صوتا للنيران يقول برو. . مث. . يوس ويكررها وأنا لا أفهم شيئا.

لكني تذكرت أن هذه الكلمة نقشت أعلى الكلمة الأخرى التي لا أفهم دلالتها ثم قال كلمة أخرى يبدو أنها الكلمة التي أسفلها. شعرت بعدها أن النيران تحدثني تربت عليّ لا أعرف ماذا قدمت لها من فعل حسن كل ما أعرفه أن عائلتي أصبحت لحما معدا للطعام لا محالة احترقوا. تارة أخرى تقترب النار تحتضني كأنها تقدم لي شكرًا على معروف صنعته ربما لأنني أضرمت النيران بالمنزل. حينها تذكرت أن الأحرف التي لا أعرف معناها رأيتها في إحدى كتب التاريخ وأن الكلمة (Ἡρακλῆς) تعني هرقل

أعرفه لكن ما علاقته برومثيوس هناك سر.
تحدثت النيران تعظم اسم (Ἡρακλῆς) لم أكن انتبه إلى أن هناك نسور تنهم من النيران فيخرج فمها ملطخ بالدماء ما هذا لا أعرف، نيران تخرج دما وكلما اقتربت هذه النسور صرخت النيران بصوت كالشهقة أفزعني أرتجف صراخ شديد لكن لا صوت يظهر لي لعلو صوت النيران.
النيران تجل وتكرم اسم هرقل كأنه إله أو معبود له محرر لها من كل هذا.
لا أعرف كل ما أذكره أن دراسة التاريخ أفسدت عقلي تمامًا.
أخذت أكرر برومثيوس ماذا تعني هيا تذكري، النيران تكاد تلتهم كل شيء. . . . . بعد وقت طويل فدائما ما تتوافر صفتان فيّ هما الغباء والنسيان وأنا لا أنسى إلا في الوقت الذي من المفترض فيه أن أتذكر. ها قد تذكرت برومثيوس مارد النار الذي تمرد فشده كبير الكهنة على إحدى أحجار القوقاز فحرره هرقل إذن عرفت لما يبجل هرقل لأنه حرره لكن النسور هيا تذكري. . .
المهم أنني كيف أعيد المنزل على ما كان عليه عليّ أن أفهم بسرعة وهذا أمر محال عليّ ماذا أفعل؟ الحجر لم ينفجر في المرة الأولى لماذا رغم التهابه؟ وتفجر في المرة الثانية نظرت له فوجدت حروف اسم هرقل تحولت إلى اللون الأحمر عليّ أن أعيدها إلى ما كانت عليه فضي لامع فقط. كي ينصرف هذا المارد الذي يحيط بي لكن كيف؟النسور ما سر النسور أظن اللعنة مازالت موجودة وإلا ما استدعت النيران هرقل ليخلصها. إذن إن تمكنت النسور من تناول النيران بإمكاني الإفلات وإنهاء كل شيء.
ازداد حديث النيران مستغيثة باسم هرقل قبل أن تفنيها النسور. لكني لاحظت تجددها ثم تفانيها إذن عليّ أن أختار الوقت المناسب للهروب وبالفعل عند قرب تقاطع انتهائها وتجددها تمكنت من الهروب وكعادتي

سقطت أرضًا. نهضت مسرعة بعيدًا أحضرت ماء حين عدت وجدت النيران ملأت كل شيء واختفت النسور. يبدو أن النيران نجحت في استدعاء هرقل ووجدت الحجر ساقطًا فأمامي محاولة إما أن تنجح أو أتحول كباقي العائلة إلي لحم مشوي.

سكبت الماء على الحجر الذي عاد بريقه باختفاء النسور حينها تذكرت أن النسور هي لعنة كبير الكهنة على مارد النار بروميثوس وهو سلط النسور عليه أن تلتهم كبده حتى حرره هرقل من صخور القوقاز لكن على ما يبدو ظلت اللعنة بهذه الصخور. انطفأ كل شيء وعاد الحجر متماسكًا حقًا مارد لعين.

حينها استيقظت على صوت أمي: ألا تذهبين اليوم للجامعة؟

ابتسمت: كل يوم أذهب أنا إليها ألا تستحي الجامعة وتأتي هي يومًا.

إذن إن دراسة التاريخ أودت بعقلي إلى بعيد فقد تطور الأمر أن أحلم بهرقل وما يدريني بمن أحلم غدا؟

إهداء هذه القصة إلى عبقري الأدب طه حسين. ريهام أحمد.

****

ملَكَ الموت

نظرت إلى أمي أخبرها أنني سأنهي كل شيء بعدها سأخلد للنوم. لكنها رفضت فقد لاحظت الحالة التي عليها من شحوب تام. لكني كعادتي جادلتها رافضة ما تقوله أنهيت كل شيء. دلفت بعدها أقبل رأس أمي وأسدل عليها الغطاء جيدا. توجهت لحجرتي تذكرت أنني لم أرتشف مياها كعادتي فارتشفت مياها عائدة إلي حجرتي. فقد كنت في شدة الإعياء ليس الجسدي فالمرض الجسدي لا يعجزني.

سئمت كل ألوان الحياة وبهجتها من حولي منذ فترة طويلة لا أعرف سببا لهذا. فدلفت لحجرتي حينها شعرت بحركة مريبة، وأنفاس تلتقط بها متسارعة تتأهب لشيء لكني لم أعرف ما هي وما مصدرها؟ تأملت الحجرة جيدًا ربما أحد إخوتي يمازحني أعرفهم حين يمرحون هذا النوع من المرح. لكني لم أجد أحدا منهم مع ذلك ظلت الأنفاس متعاقبة متسارعة.

جلست على فراشي أقرأ شيئا من القرآن الكريم. بعدها أغلقت المصباح لا أهوى الإضاءة المرتفعة عند النوم. لكن الأنفاس مازالت مصاحبة لي بل أكثر شدة واقترابا. ارتجفت في فراشي لا أحد حولي الجميع نيام. نهضت من فراشي بعد أن شعرت بملمس أحد على يد. أنظر حولي جيدًا كل شيء في وضعيته تمام كما أحبه بحجرتي.

الكتب في موضعها، ومصحفي، الأغطية يداعبها الهواء الطلق في حذر، ولكن كل شيء ينبئ بأن هناك أمرا سيقع. فاعتلتني انقباضة نفس من داخلي.

فجلست لم أستطع النوم بعدما أضأت المصباح من جديد. لكني لم أتمكن من البقاء جالسة كثيرة. فأشعر بأن هناك شيئا ما ينتظرني لكن ما هو لا أعرف مازالت الأنفاس تزداد من حولي تقترب حتى شعرت بها تحرك خصلات شعري فتسقطها على وجهي. أشعر أن هناك شيئا يجتاحني على موضع من الاقتراب والبعد في آن واحد. لكن ما هو هل هناك أشباح بالحجرة؟ لا لا أظن ذلك بل أنا لا أؤمن بهم لكن لكل منا عالمه كما أنني لا أدع فرصة للاقتراب من هذه العوالم أو منفذ يعبرون منه إليّ. . إذن من هذا الذي لا يطيق النور لا يشع إلا في الظلام. التقطت أنفاسي خائفة.

كررت محاولات الإضاءة عشر مرات لعلي في إحداها أرمق ظله بين تقاطع النور والظلام. دب اليأس في داخلي خاصة أنني كنت مريضة ملتهبة الروح لا أطيق شيئا. كل شيء لدي تساوى لا أرى شيئا مميزا.

أغلقت المصباح لا أحصي كم هذه المرة التي أغلقه لكني ما أعرفه أنها كانت المرة الأخيرة والأخيرة نهائيًا. وضعت جسدي مسجاة على فراشي الذي اعتراه صقيع غير عادي. فشعرت بفارق بين درجة حرارة جسدي والفراش كأنني كنت بداخل مثلج.

ارتخيت بجسدي اقتربت الأنفاس هذه المرة إلى حد أنها كانت تستنشق في وجهي لا أطيقها وهي قريبة مني كيف أطيقها وهي تستنشق في وجهي!!!

حاولت القيام لم أستطع أشعر بأن هناك قوة تمكنت من جسدي حين أسجيت به في فراشي مستلقية للنوم. كنت أشعر به في حجرتي لكن لم أكن أوقن أنه بكل هذه القوة. كدت أقاومه قبل أن أعلمه لكني حين فتحت فمي أستنشق أنفاسي خانقة منه فالتقطت أنفاسنا عرفته من هو؟

أسقطت يدي بجواري توقفت عن المحاولات معه فأنفاسه وقدرته كانت

أقوى من أن أحتمله أو بالأحرى أواجه. رغم أن قدمي حين حركتها تحركت لكن قوته فاقت حد توقعاتي البسيطة. تبدلت حالتي لا أعرف أي شيء ألقاه إلي داخلي من أنفاسه الملتهبة التي جعلتني أتحول من تلك الفتاة ملتهبة الروح إلي سعادة لم أتخيل أنني سأشهدها يومًا. ابتسم وجهي بأكمله حتى عيني الحزينة لشدة ما كنت سعيدة بما يحدث. ارتخى جسدي بأكمله لكن قدمي مازالت تتحرك هل إنه هو أم ليس هو ما تلك المداعبات؟ لمَ لم تخبروه أنني لا أحب هذا النوع من المداعبات، وأنصاف الحلول، ومسكنات الآلام، وقوانين الاحتمالات. أحب القطعية في كل شيء فليحدث أو لا يحدث. لما الجدل في حدوثه وظنون ليس لها أي قيمة تذكر.

بدأ الشروع في مهمته مكتسحا جسدي بالكامل من أصابع قدمي المرتفعة التي انثنت شعرت بها، وامتدادها الذي كان يجعلهما مستقيمان في توازٍ مع بعضهم البعض. ارتخاء عام مع سريانه في جميع أوصالي دون أدنى مقاومة تذكر مني له. بل كنت أنتظره لكني اعتدت أن أنتظر من يأتي متأخرا دائمًا. لا أعرف ما عشقي لهولاء المتأخرين.

تقدم من قدمي لأعلى شيئا فشيئا حتى استشعرت ثقل قوته في قلبي يسري إلي أعلى فأعلى فأعلى. . فنظرت بكلا الاتجاهين حتى مر من قلبي وصدري خارجًا من فمي شعر به يعلو بي فارتفعت شهقتي معه مخرجة أنفاسي.

بعدما أخذها مني نظر من خارجي يتأمل ذاك الهيكل العظمي الفارغ دون روحه كنت أقف بجواره أتأملني معه. حقًا بارع هو في عمله إلى حد جعلني أشعر به دون أن أدريه أو أدركه.

نظرت إليّ من خارجي وأنا ماثلة جثة محتضرة لكن مبتسمة. وضعت يدي على وجهي ويدي الأخرى يقبض عليها لكنه لا يتحكم فيّ أظنه لا يملك قدرة

التحكم فيّ بعد أن أنهى عمله بي. انحنيت عليّ أقبلني في رأسي كل يوم أفعلها مع أمي لم أفعلها يومًا مع نفسي لكن ها هي الفرصة سنحت أن أكون معها لمَ لا أكون بجواري وأنا لست بجواري.

فانهمرت دمعة من جانب عين جثماني فابتسمت أقول: إنني مازالت على قيد الحياة، لكن حين لامست هذه الدمعة الوحيدة المنهمرة. فأدركت حقيقتها أنها دمعة محتقنة في الحلق قبل الموت لا أكثر, فحين استسلمت الروح لبارئها أدركت كم هي حرة الآن كجثمان فارغ من روحه التي تحركه, أردت أن أقف أرى موقف الجميع من هذا لكن وقتي انتهى لا مزيد من الوقت الآن انصرفت وأنا أراني لعالم لا أدريه ولا أرى موضعي فيه فإنه مصير آخر بأقدار قدرت لنا في الحياة التي قد مضت ونحن فيها,

****